



«أولاً: لماذا نترجم أدب طفل؟»

إنه السؤال الأول، الذي يتعلق بالهدف من ترجمة أدب الطفل، إنه سؤال الغاية التي تحرك أي نشاط إنساني واع مسؤول، ولا أكون مبالغاً إذا قلت: إن غياب رؤية واضحة للجواب عن هذا السؤال تقضي قدماً إلى تفريغ العمل المترجم من قيمته. وإذا كان تتبع مسار الترجمة في تاريخ الإنسانية يكشف لنا عن قيمة حضارية بالغة الأهمية لفعل الترجمة بوصفه عملية تزود معرفي وثقافي،

الترجمة فعل إنساني مسؤول تحكمه -كسائر الأفعال البشرية- إرادة واعية، وأهداف محرّكة. من هنا -فقط- ينبغي أن تبدأ معالجة قضايا الترجمة عامة، وترجمة أدب الطفل خاصة. ويتجديد أكثر لمرادنا، فإن الحديث عن قضية ترجمة أدب الطفل وإشكالياتها تبدأ من طرح بضعة أسئلة من قبيل:

- ١- لماذا نترجم أدب طفل؟
- ٢- ماذا نترجم في أدب الطفل؟
- ٣- كيف نترجم أدب الطفل؟

— د. أحمد عبد العظيم محمد - مصر —



ترجمة أدب الطفل .. سؤال الشكّل والمضمون

يقوم خلالها طرف باستجلاب نصوص من ثقافات ولغات أخرى، سعياً لاقتناص ما تزرخ به هذه النصوص من معارف وثقافات تسهم في تدشين البناء العلمي والثقافي للأمة المترجم إليها؛ فإن ترجمة أدب الطفل تكتسب أبعاداً أكثر خطورة وأهمية، إذ هي نشاط يتعلق بعملية تكوين ذهني ووجداني وأخلاقي لأجيال متتابة، عملية تتم في المرحلة الأخطر من مراحل بناء الذات وتشكيلها، وهي مرحلة الطفولة.

«ثانياً: ماذا نترجم في أدب الطفل؟»

هو سؤال لا ينفك عن سابقه، بل ينبني ويتأسس عليه؛ بحيث يترتب على الرؤية الواضحة للهدف من فعل الترجمة عند المترجم جملة اختيارات موفقة للنصوص المترجمة التي تخدم - بطبيعة الحال - رؤيته وأهدافه من عملية الترجمة، والعكس بالعكس.

وبناء على هذا يمكننا القول: إن أول حدود مسؤولية المترجم تبدأ مع عملية الاختيار ذاتها للنص المترجم، ذلك أن «الاختيار»، هو تحيز بالضرورة؛ تحيز لفكرة أو قيمة، وتعبير عن قيمة أو يقين وقر في وجدان المترجم بأن النص موضع الترجمة هو نص يحمل

قيمة تستحق الترجمة والنقل إلى ثقافتنا.

إنه سؤال شديد الخطورة ذلك السؤال «ماذا نترجم؟»؛ لأنه يثير جملة قضايا متشابكة، وي طرح تساؤلات عديدة متداخلة، من قبيل: هل تخضع عملية الترجمة (في مجال أدب الطفل) لعملية تصفية يتم خلالها قبول بعض الأعمال والإعراض عن بعضها الآخر؟

- ما الأسس التي تراعى عند إجراء هذه «التصفية»؟ أسس إنسانية عامة، أم تربوية، أم جنسية، أم أسس سياسية، أم دينية، أم اجتماعية؟

- وبتخصيص السؤال أكثر: هل تخضع ترجمة أدب الطفل لمحرّمات الإبداع الثلاثة: الدين

- الجنس - السياسة؟
لكن قبل أن ندلف إلى الخوض في هذه التساؤلات ينبغي علينا أولاً أن نحدد مادة الترجمة موضوع الحديث. وهي أدب الطفل، وهنا تتنوع بنا ألوان الترجمات التي يمكن أن ندرجها تحت عنوان «أدب الطفل»، وتزداد مساحة هذه الألوان أو تنحصر قليلاً وفق درجة توسعنا في تحديد مفهوم «أدب الطفل»، فإذا ما توسعنا في فهم المصطلح فسنجد أن أدب الطفل هو كل رسالة توجه إلى الطفل، بهدف التربية، أو الترفيه، أو تنمية حصيلته اللغوية، أو زيادة معارفه العلمية، أو توسيع مداركه ومعانياته الثقافية، سواء قدم له ذلك في صورة كتاب مقروء، أو مادة صوتية، أو صورة مرئية.





وعلى هذا يدخل في مجال حديثنا قصص وروايات ومجلات الأطفال المصورة، وكذلك المجردة من التصوير، وكتب الأطفال التثقيفية فوق ١٢ سنة، وأغاني الأطفال المصورة وغير المصورة، والمواد الفيلمية السينمائية والمصورة (الكارتون)، وبرامج الأطفال المصورة.

إنها مساحة عريضة من الخطابات والرسائل الموجهة إلى الطفل، والتي تحرص كل أمة على إنتاج قدر وافر ومتميز منها، ارتقاء بأبنائها، وحرصا على تقديم وجبات تثقيفية وتربوية وترفيهية مفيدة لهم.

إننا هنا -وعلى الجملة- نتحدث عن إبداع، بكامل مفهوم الكلمة، وقد بات من المتواتر شرطيا حينما نتحدث عن الإبداع -بصفة عامة- أن تقابلنا حالة من الجدل الشديد حول قضية رئيسة تطل دوما برأسها، وهي حرية المبدع (أو حرية الإبداع)، نجدنا مع هذه القضية إزاء حالة من الاستقطاب الشديد بين حدين: مؤيد لحرية غير مشروطة ولا مقيدة للإبداع، ومعارض متشدد لهذه الحرية يرى وضع الإبداع دوما تحت مجهر المساءلة الدقيقة لكل كلمة يسطرها أديب، أو ريشة

فنان تسيل ألوانها على صفحة ورق، أو موقف درامي يؤديه مؤدٍ. وبين الفريقين وقف فريق ثالث محاولا -دون جدوى غالبا- أن يوجد حالة من التوافق الواسطي بين الحدين السابقين بإطلاق الحرية المسؤولة للإبداع؛ شريطة ألا تمتد هذه الحرية إلى ثابت من الثوابت الدينية أو القيمة الاجتماعية والأخلاقية.

وعلى أرض الواقع، وتطبيقا لما سبق، نجدنا حينما نتكلم عن رواية أو كتاب يصدم الذوق العام أو يزدرى دينا أو يفحش في وصف علاقة جنسية، أو حين نتكلم عن

فيلم يتحقق فيه كل ذلك أو جزء منه، تنقسم رؤانا بين فريقين: أما **الأول**: فيرى ضرورة وجود رقابة تحول دون وصول هذه المواد التثقيفية إلى جماهير المتلقين لتفاوت درجات علمهم ووعيهم وثقافتهم، وحماية لهم ولأذواقهم. وفي سبيل ذلك ترفع دعاوى الحسبة وغيرها من الدعاوى القضائية، وتضج الصحف بأخبار الجدل الدائر حولها.

وأما **الثاني**، فيرفض تلك الرقابة رفضا تاماً، وحجته في ذلك جاهزة «للتلفاز زر، وللمتلقي الحق في إدارته يمينا أو يسارا

ليشاهد ما طاب له، ويعرض عما لا يشاء، والكتب والروايات والدواوين في الأسواق والمكتبات للقارئ أن يمد يده ليحصل على نسخة يقرأها من كتاب، وبإمكانه أيضاً أن يعرض عما يشاء من كتب أخرى.

هذه حجة المتحججين فيما يخص الأشخاص الراشدين ناضجي الوعي، كاملي الأهلية. أما حينما نتكلم عن مادة مقدمة للطفل مكتوبة كانت أو مرئية، فيقيني الشخصي أن الأمر مختلف.

جميعنا نعرف أن أطفالنا هم مشاريع بناء إنسان لم تكتمل أهليته بعد، وأن دوراً عظيماً يقع على كاهل مؤسسات تربوية مختلفة تخصص جهودها وطاقاتها لرعايته وتنشئته وتوجيهه، بدءاً

من الأسرة إلى المدرسة، إلى دار العبادة، وبطبيعة الحال إلى هذا الكيان الاعتباري «المؤسسة التثقيفية»، تلك المؤسسة التي تدرج تحتها المواد التثقيفية المختلفة من كتب وقصص وأفلام كرتونية... إلخ.

وسأستدعي هنا رأي أحد أعلام أدب الطفل في مصر وفي وطننا العربي، وهو الكاتب «يعقوب الشاروني»، يقول: «لا بد أن نراعي شيئاً مهماً عند ترجمة كتب الأطفال إلى العربية، وهو ألا نبتعد عما يحتاجه أطفالنا؛ فالترجمة مثلاً في مجالات العلوم مفيدة؛ لأن العلم ليس له جنس، كذلك عندما نترجم القصص التي بها قيمة إنسانية يتعلمها الطفل، وهو ما نراه في القصص الشعبية مثل: سندريلا، والجميلة

النائمة، يقرأها الطفل بمثل التشويق الذي يقرأ به القصص الشرقية العربية مثل: علي بابا، أو علاء الدين. والأدب الإنساني صالح لكل مكان وزمان... فعلى إذن عندما نترجم لهم أن نختار ما به قيمة إنسانية. أما عيوب الاغتراب فنجدها في الشخصيات المترجمة، مثل: سوبرمان، وبات مان، الرجل الأخضر، هذه الشخصيات الخيالية لا تخضع لقوة القانون، ونشعر أن القوة التي لديها تحجبها فتعلم الطفل عدم الاكتراث بالقانون وعدم احترام السلطة، وعلى ذلك فهي تضعف إحساس الطفل بالنظام والقانون»^(١).

إن خطورة القضية هنا تتبع من طبيعة التكوين النفسي والتربوي للطفل، الذي يتأثر بصورة أعمق بكثير مما قد يتصور الآخرون، فهو دائم البحث - فيما يشاهد - عن قدوة تبهره فيتلمس خطاها، وجميعنا نرى كثيراً في بيوتنا ومجتمعاتنا الخاصة والعامة شخصيات (كارتونية) سلبت أبواب الأطفال واستحوذت على اهتمامهم، منذ «سوبرمان»، و«باتمان»، و«تان تان»، و«العم دهب»، و«توم وجيري»، إلى الأسد «سيمبا»، و«تيمون» و«بومبا»،





و«سبونش بوب» و«ستروبلي»، و«باربي»، و«بن-تن». ويكفي للتدليل على ذلك ما نراه في أسواق الملابس، والألعاب، بل أدوات المدارس - كذلك - في مجتمعاتنا العربية من استغلال واضح لتلك الشخصيات في مغازلة غرام الأطفال بشخصيات مثل «سبونش بوب» و«سوبرمان».

إننا مع الحكاية و(الحدوتة) أمام سلوك إنساني يبدو في ظاهره اللهو والعبث؛ فنظن أحيانا أن الهدف من ورائه هو محض المتعة والتسلية، ولكنه في حقيقة الأمر سلوك يعكس عمقا فكريا وتربويا شديد الخطورة في تشكيل الخبرات ومراكمة المعارف لدى المتعامل مع هذا الفن (الحكي) طفلا كان أو كبيرا؛ وليس أدل على ذلك من أن الكتب السماوية كافة لم تخل في مواضع كثيرة

من توظيف الحكاية؛ وهو أمر يكشف عن خطورة الأمر وجدية الحال في موقف الحكاية؛ فهي ليست لهوا ولا عبثا؛ ولا المقصود منها المرح ولا التسلية والاستمتاع.

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ

وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

إن أدب الطفل بخلاف أنه يقدم التسلية والمتعة الجمالية له دور ثقافي في إكساب الأطفال القيم والمعارف والمهارات، وتنمية اللغة وغرس عناصر الهوية الثقافية للمجتمع في نفوس الناشئة.

بهذا الفهم، وفي هذا الإطار نرسم علامات تحذيرية على



كثير مما يترجم لأطفالنا من كتب وروايات وقصص، ومن برامج وأفلام، تشجع مخالفة القانون وتدعو ضمنا إلى الخروج على أنساق المجتمع، أو تروج لقيم تخالف القيم الأصلية عامة، أو تصدم الطفل في ثوابت عقيدته الإسلامية (أو حتى المسيحية)، ويروج بعضها

لعنف غير مقبول، وبعضها الآخر يث شحانات من الرعب ترهب نفوس الكبار فضلا عن الأطفال، مما يولد لديهم عقدا نفسية، وبعضها الآخر يقدم ثقافة جنسية مشوهة لا تناسب مرحلة الطفولة.

هنا يُستدعى على وجه السرعة ضمير المترجم الذي ينبغي أن يدقق كثيرا قبل أن يحدد لنا ولأولادنا: ماذا نترجم؟!

«ثالثا: كيف نترجم أدب الطفل؟»

لا شك أن الحديث عن سؤال الكيف فيما يتعلق بعملية إبداعية بالغة الحرفية والمهنية كالترجمة حديث متشعب يكتنفه كثير من الصعاب، فهو حديث عن آلية الترجمة المستخدمة أو آلياتها المختلفة التي تتم المناوبة بينها وفقا

لمتطلبات النص والسياق، وهو حديث عن منهجية واضحة للمترجم في التعامل مع بعض الإشكالات المتعددة مثل: طريقة ترجمة الأعلام، ونقل الأمثال ذات المرجعيات الثقافية الخاصة، والتعامل مع بعض الأفكار التي لا تتفق مع سياق التلقي في ثقافتنا العربية وكيفية استعاضته عن

هذا على المستوى التنظيري والأكاديمي، فما الحال مع الواقع التطبيقي لعمليات الترجمة؟ سنقف هنا بالنظر أمام

أحد ألوان ترجمة أدب الطفل الأكثر بروزاً وتأثيراً في عصر (الستالايت) والمراثيات، من خلال تتبع بعض مظاهر الترجمات لأفلام الكارتون. فيما يسمى

يجعل أمانة تقديم عمل فني مميز للطفل العربي؛ يقوم على تبصير الطفل العربي وبناء شخصيته معرفياً وأخلاقياً وتربوياً.

إننا على قناعة تامة بقدرة اللغة الفصحى على التعبير والوصول، والتأثير على جمهور القراء والمتعاطين للثقافة على اختلاف أعمارهم وجنسياتهم على امتداد

هذه الأفكار. وهو أخيراً حديث عن مستوى اللغة المستخدمة في عملية الترجمة (فصحى كانت أو عامية).

ولأن لي اهتماماً خاصاً وشخصياً بقضية الفصحى والعامية فقد أثرت أن أشير سريعاً وبإيجاز إلى هذه القضية بوصفها أحد الإشكالات المتعلقة بالجواب عن السؤال: «كيف نترجم أدب الطفل؟».



«غواية العامية والاختيار الأسهل»

لا شك أن للعامية غوايتها، فهي لهجة الحديث اليومي المتداول، التي تقرض سطوتها على عقل المترجم؛ بحكم ما تحتله من مكانة على عرش ملكاته اللغوية، التي تكون قد شكّلت عبر سِنِّي عمر المترجم حصيلة ثرية من المفردات والتراكيب والتصورات والأمثال، وسائر أبنية اللغة وذخيرتها. وهو أمر -لا شك- يغري المترجم بالركون إلى الأسهل، إلى ما تسعفه به أدواته، ولسان حاله يقول: «لماذا أتكلف العناء، وفي يدي الكفاء».

إنها إذاً عملية إغراء وغواية يقع في شَرَكها بعض المترجمين، وهذه الغواية تمثل أحد تحديات الترجمة، السقوط فيها يُعدُّ عيباً ثقافياً وأخلاقياً في حق رجل اختار أن

بـ«الدبلجة»، التي يراوح القارئون بها بين الفصحى والعامية. وللأمانة هنا ينبغي الإشارة إلى أن أحد مغريات الدبلجة بالعامية هو السهولة مضافاً إليها حسن الأثر على المتلقي الذي يألف هذا المستوى العامي من الأداء اللغوي، ولكن من

الوطن العربي؛ بل نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فنذهب إلى تبني ما أبرزته مناقشات تقرير لجنة العامية والفصحى الذي عُرض على مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته (١٤)؛ والتي «أبرزت ضعف العامية بالقياس إلى الفصحى»^(٢).



الأمانة أيضا أن ننتبه إلى ما نفعل نحن الكبار عنه، أو ما نظنه خطأ من صعوبة المستوى الفصيح من اللغة، وتدني أثره على وعي الطفل الصغير، والحقيقة والواقع يثبتان عكس ذلك تماما، فتلقي الأطفال للأعمال المدبلجة بالفصحى لا يستشعر منهم أي استهجان أو استغراب، بل على العكس - وهذا أثر محمود - يحدث بينهم وبين ما يسمعون إليه قدر كبير من التماهي، ينطبع أثره على ملكتهم اللغوية؛ ليفاجئوا الكبار في كثير من الأحيان بعبارات وتراكيب فصيحة رائعة تصل مع الكبار إلى حد الإبهار، وهو ما يؤكد خطورة أثر تحديد مستوى اللغة المستخدمة في ترجمة أدب الطفل عامة، وأفلام الكارتون خاصة، في تشكيل هوية الطفل، وملكاته اللغوية، التي هي - ولا شك - جزء أصيل في بناء هويته وشخصيته.

ولعلنا جميعا نعلم أن جهودا ودعوات منظمة ومتواترة ظهرت في القرن العشرين، في بعض البلاد العربية، لتبني اللهجات العامية لغة للثقافة والتعليم، بحجة انتشارها بين الجماهير ويسرها على المتعلمين، وهي

دعوات جليلة الخطر؛ إذ تتعدد الأخطار من شيوع اللهجات العامية في الوطن العربي، وتلقي فيها الجوانب التربوية والثقافية بالجوانب الاجتماعية والسياسية، وقد عدد السيد عبد العزيز البسام بعضا من هذه المخاطر، ولعل من أهمها - حسب قوله - «أن اقتصار الجماهير على العامية وعجزهم عن فهم الفصيحة وعن استساغتها - فضلا عما فيه من حرمانهم من الغذاء الفكري الناشئ في حاضريهم - يعني عزلهم إلى حد بعيد عن المصادر الأولى لعقيدتهم كما تمثل في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة وعن التراث الفكري لأمتهم في ماضيها الزاهر ... ويترتب عليه انقطاعهم عن

جذور ثقافتهم وأصالتها»^(٣)، ولعل ذلك ما يتعارض كلية مع فكرة «الهوية الثقافية الواضحة» التي ينبغي على الأديب التماس السبل إلى غرسها وتميزها في وعي الناشئة ما استطاع إليها سبيلا.

وفي مجال أدب الطفل خاصة تتعاظم أهمية توظيف الفصحى؛ التي تعد - في هذا الإطار - واحدة من أهم أهداف أدب الطفل؛ حيث يذهب أحد الباحثين إلى أنه «يجب على أدب الأطفال أن يفني الأطفال بثروة لغوية، وأن يكتب بلغة عربية فصحة سهلة، حيث إن أغلى وأثمن ما يمكن أن يتحصل عليه الأطفال في سنوات عمرهم، هو لغتهم القومية»^(٤).

إنني أرى الآن أن الفرصة أمامنا لما تزل سائحة مواتية